ملف العدد
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

واجبات الطّبيب وحقوقه
في ديار الحضارة الإسلاميّة

د. مها عبد القادر زكريّا
دكتوراه في فلسفة التاريخ الإسلامي
جامعة القصيم
مدينة بريدة – المملكة العربية السعودية

مُلَخّص

هذا البحث هو دراسة تاريخية تختص بتسليط الضوء على واجبات أطباء المسلمين وحقوقهم في ديار الحضارة الإسلامية كما جاءت في كتب التّراث العربيّ الإسلاميّ. وتشمل الدراسة على تعريف بآدب مهنة الطب مع بيان أهمية تطبيق هذه الآداب في المجتمع، ودور الدين الإسلامي في ترسيخ هذه الآداب. كما وتسلط الدراسة الضوء على شروط ممارسة مهنة الطب في الدولة الإسلامية، ومنها: امتحان الطبيب وحصوله على إجازة بممارسة المهنة، وتعهده بعد ذلك أن يكون أمينًا ومخلصًا لشرف المهنة. وتنتقل الدراسة بعد ذلك للحديث عن واجبات طبيب المسلمين تجاه خالقه ومجتمعه ومريضه، مثل التزامه بقوى الله والتحصيل العلمي واحترام أساتذة المهنة، وبذل الجهد في المداواة والعلاج، ثم توضح الدراسة حقوق الطبيب في ديار الحضارة الإسلامية من حصوله على المنزلة الرفيقة والتقدير والاحترام من قبل الحكام وعامة الناس، وهذا لا يمنع من تعرض الطبيب من قبل بعض الناس إلى الاستهانة بعلم الطب وطرق العلاج. وتأتي الخاتمة بجملة من النتائج التي توصلت إليها الدراسة حيث حرص أطباء المسلمين على التزامهم بالقواعد الأخلاقيّة في ممارستهم للمهنة، ودعوا إلى تجنّب كلّ ما يسيء إلى شرفها، ويتنافى مع أهدافها الإنسانيّة. وقد طهر تناغم بديع بين تطبيق العلم والشّرع في سلوك الطّبيب في ديار الحضارة الإسلامية، فهو يحمل شرف أمانة الإسلام أوّلًا، وأمانة المحافظة على صحّة الإنسان ثانيًا.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٠٣ يناير ٢٠٢٣
تاريخ قبـول النشـر: ١٠ فبراير ٢٠٢٣

كلمات مفتاحية:

الآداب الطبية؛ أطباء المسلمين؛ الحضارة الإسلامية؛ واجبات الطبيب؛ حقوق الطبيب

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/KAN.2023.325623

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

مها عبد القادر زكريّا، "واجبات الطّبيب وحقوقه في ديار الحضارة الإسلاميّة"- دورية كان التاريخية- السنة السادسة عشرة- العدد التاسع والخمسون؛ مارس ٢٠٢٣. ص ٢٣٨ – ٢٤٨.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: dr.maha1zak@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَوريةُ كان التّاريخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدّمَةٌ

لما كانت مهنة الطّب من أسمى المهن الإنسانيّة عبر العصور؛ لحاجة جميع النّاس إليها، ولارتباطها الوثيق بصحّة الإنسان العضويّة، والنّفسيّة، كان من الطّبيعي أن يكون (الأدب) وصفًا مشروطًا لصاحبها؛ ولهذا وضعت جملة من المعايير، ليتأدّب بها، ولتنتظم العلاقة بينه وبين المريض، وأُطلق عليها مصطلح (الآداب الطّبّيّة)، والّتي ارتبطت بالآداب العامّة للمجتمع، فضلاً عن ارتباطها أيضًا بقيمه الدّينيّة، فقد حاز الحديث عن واجبات الطبيب وحقوقه اهتمامًا ملحوظًا من فلاسفة وأطبّاء المسلمين، وعُدَّ موضوع أخلاقيّات مهنة الطّبّ، موضوعًا ذا شأنٍ كبير في ديار الحضارة الإسلاميّة.

ولأن الدّين الحقّ فطرة أصيلة في الإنسان، وهو الّذي يدفعه إلى ضبط نفسه والالتزام بالخلق الفاضل، ولكن إن فسدت الفطرة السّليمة، فسد السّلوك القويم، وعلى هذا؛ كلّما وافقَ الطّبيب بين فطرته السّليمة وطبعه، كان مُسْتَقرًّا في سلوكه، وكلّما خرج عليها وعاندها ماتت فطنتَه، وعميت بصيرته؛ وهذا ما يُرى بصورة واضحة في سلوك بعض الأطبّاء، ممّن ضعف عندهم الوازع الدّينيّ والأخلاقيّ، فظهر من بينهم المتطفّلين وذوي النّفوس الضّعيفة، وتظاهروا بعلمهم بصنعة الطّبّ بغية اكتساب المال والجاه، وأصبح وجودهم خطرًا يهدّد حياة الإنسان ويسيء إلى شرف المهنة.

غير أنَّ الشّواهد التّاريخيّة تحدّثنا، بأنّ مثل هؤلاء لم ينجوا -في غالب الأحيان- من ذمّ وتوبيخ الملتزمين بآداب المهنة، فمنهم من وضع فيها التّصانيف، مثل كتاب الرّازي (أخلاق الطّبيب)، وكتاب الرّهاوي (أدبُ الطّبيب)، وكتاب صاعد الأندلسي (التّشويق الطّبّيّ)، ومنهم من خصّص في كتبه الطّبّيّة فقرات لخّص فيها آداب المهنة، ومنهم من وضعها في مطلع كتابه، مثلما فعل علي بن ربن الطّبري في كتابه (فردوس الحكمة) وعلي بن عبّاس المجوسيّ في كتابه (كامل الصّناعة الطّبّيّة).

وجاءت هذه الآداب على نحو نصائح فيما يجب أن يتأدّب به الطّبيب في سلوكه المهنيِّ، وأخلاقه، وعلاقته بعامّة النّاس وكبرائهم وأقرانهم، وبالأصحّاء والمرضى، وما يجب أن يكون عليه الطّبيب في طبّه وتطبيبه، فقلّما خلا كتابًا طِبّيًّا عربيًّا تُراثيًّا من توجيهات، وآراء مستوحاة من مكارم الأخلاق الّتي تحثّ على الصّدق والأمانة والإخلاص في العمل، والاحتراس من الأطبّاء الجهلة والمحتالين.

وفي حقيقة الأمر، كان لمجيء الدّين الإسلاميّ، وما يحمله من تعاليم ساميةٍ، دوره في تطوير مفهوم (أخلاقيّات المهنة)؛ بتقديمه صورة عمليّة لجوهر الفكر الأخلاقيّ، تجمع بين مصلحة الفرد، ومصلحة الجماعة، وهذا ما يفسرّ ارتباط أخلاقيّات المهنة عند المسلمين بالعقيدة الدّينيّة بصورة كبيرة؛ فظهر تناغم بديع بين تطبيق العلم والشرّع في سلوك طبيب المسلمين، فوجب عليه أن يحمل في جنبات نفسه تقواها؛ وكيف لا، وهو الّذي حمل شرف أمانة الإسلام أوّلاً، وأمانة المحافظة على صحّة الإنسان ثانيًا، فكان أولى النّاس أن يكون سلوكه، والتزامه بخلق الإسلام جزءًا لا يتجزّأ من طبعه، وسلوكه المهني.

وعلى هذا، فقد زخرت الحضارة الإسلاميّة بأسماء العديد من الأطبّاء الذين التزموا بقواعد المهنة، ليصلوا إلى درجة رفيعة من الاستواء في الشّخصيّة الإنسانيّة، فتركوا لنا تُراثًا طبّيًّا أخلاقيًّا خالدًا، يُقتدى به في كلّ زمان. وقبل الخوض في صلب الموضوع ولكي يفهم بصورة جيدة، لابد من تسليط الضوء أولاً على شروط ممارسة مهنة الطب في ديار الحضارة الإسلامية.

أولاً: شروط ممارسة مهنة الطب في ديار الحضارة الإسلامية

تعدُّ المسؤوليّة الطّبّيّة وأخطاء الأطبّاء من المواضيع التي لازمت ممارسة الطّبّ في كلِّ زمان ومكان، إذ وضعت منذ أقدم العصور التّشريعات والنّصوص المحدّدة لتلك المسؤوليّة القانونيّة الطّبّيّة، ولعلّ كان من أقدمها، ما تضمّنته قوانين شريعة حمورابي[1]. وبمجيء الدّين الإسلاميّ، وضع النّبي محمّد (ﷺ) ضوابط ممارسة هذه المهنة، والّتي كان جوهرها: "من تطبب ولم يعلم منه الطّبّ قبل ذلك فهو ضامنٌ"[2]. ومع تطوّر العلوم الطّبّيّة، وازدياد عدد الأطبّاء الممارسين لمهنة الطّبّ في بلاد المسلمين، كثر أدعياء هذه المهنة، فكان من الضّروريّ أن تتطوّر هذه التّشريعات، من خلال توافر أنظمة تتولّى مراقبة سلامة هذه المهنة، والتزام القائمين عليها بقوانينها النّاظمة؛ ولهذا طبِّق (نظام الحسبة) على الممارسين لمهنة

الطّبّ. وتبعًا لذلك، أوجبت الحسبة على الأطبّاء شروطًا تحفظ المهنة من عبث العابثين وضلالات المشعوذين وغشّ الدّجّالين[٣]، ومن هذه الشرّوط:

١/١-إجازة الطّبيب

كان الطّبيب في أول عهد الدّولة الإسلاميّة يكتفي لممارسة التّطبيب بقراءة كتب طبّ الأوائل على طبيب من النّابهين في عصره، حتّى إذا آنس من نفسه القدرة على مزاولة الصّنعة، باشرها من دون قيد أو شرط.[٤] وإنّ أوّل من نظم صناعة التّطبيب وقيدها بنظامٍ خاصٍّ حرصًا على مصلحة النّاس، هو الخليفة العبّاسيّ المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م)، فمنع الأطبّاء من ممارسة الطّبّ إلاّ بعد امتحانهم من الطّبيب سنان بن ثابت[٥]، والّذي كان آنذاك يتولىّ مهمّة الإشراف على بيمارستانات بغداد[٦]. وبناءً على ذلك، كتب سنان بن ثابت رقعة عمّن يحقّ لهُ ممارسة الطّبّ، فامتحن الأطبّاء بموجبها، وصرّح لكلّ واحد منهم أن يطبّب حسب تخصّصه، وبلغ عددهم على ما يقارب على (٨٠٠) طبيبًا، وبقي هذا الامتحان شرطًا أساسيًّا لمباشرة صنعة الطّبّ[٧].

وعرف هذه الامتحان في كتب التّراث العربيّ باسم (محنة الطّبيب)، للتمييز بين الأطبّاء، وانتقادهم بالنّظر والبحث ليظهر فضل الأفاضل منهم، وجهل المدّعين، فيحذر الناس منهم[٨]. ومن حينها؛ أصبح على طالب الطّبّ بعد أن يتمّ دراسته لكتب قدماء الأطبّاء الأفاضل، التّقدّم إلى رئيس الأطباء والمسؤول عن البيمارستانات، والمرتبط بديوان الحسبة في قصر الخلافة، برسالة بخصوص التّخصّص الّذي يريد الحصول على إجازة في الاشتغال به، فيختبره الطّبيب (المحتسب) في التّخصّص المرغوب، فإن استطاع الإجابة عن الأسئلة، واجتاز ذلك الامتحان، أعطاه إجازةً تسمح له بممارسة الطّبّ، والتّصرّف في حدود تخصّصه[٩].

وكان أوّل ما يُسأل عنه طالب الطب التّشريح ومنافع الأعضاء، وهل عنده علم بالقياس وحسن فهمه ومعرفته لكتب القدماء، فإن لم يكن عنده ذلك، فليس من حاجة إلى امتحانه في المرضى، وإن كان عالماً بهذه الأمور امتحن أعماله حينئذ في المرضى[١٠]. كما وضعت العديد من الكتب في موضوع (امتحان الطّبيب)، مثل كتاب (محنة الطّبيب) ليوحنّا بن ماسويه[١١] [١٢]، وترجم حُنين بن إسحاق[١٣] كتاب (محنة الطّبيب)[١٤]، ثمّ كتب بعد ذلك أبو بكر الرّازي[١٥]، كتاب (رسالة في محنة الطّبيب وكيف ينبغي أن يكون حاله في نفسه وسيرتهَ وأدبه)[١٦].

٢/١-قَسم الطّبيب (الميثاق الأخلاقيّ)

من المعلوم أنّ الميثاق الأخلاقيّ لأيّ مهنة، يضمّ القواعد المرشدة للارتقاء بها وتدعيم رسالتها، ومهنة الطّبيب، كان لها دستور يحكم قواعد العمل الطّبّيّ، وشروطه، وما ينبغي التزامه من جانب القائمين عليه من جميع التّخصّصات الطّبّيّة المعروفة آنذاك. وهذا الميثاق الأخلاقيّ كان يعدُّ دستورًا تعاهديًّا بين الأطبّاء، فيلتزمون بالسّلوك الهادف إلى أداء مهنيٍّ عالٍ، ويترفّعون عن الأخطاء، والتّجاوزات الضّارّة بالمهنة، أو مشتغليها.

ويكتسب هذا الدُّستور قوَّته واحترامه من قوَّة الالتزام والإجماع الصّادق على أهمّيّة تنظيم هذه المهنة، فقد اُشترط في الدّولة العبّاسيّة على كلٍّ من يريد ممارسة الطّبّ بعد اجتياز الامتحان أن يؤدّي قَسمًا طبّيًّا (عَهد الطّبيب) أمام رئيس الأطبّاء، الّذي شمل أغلب بنود قسم أبقراط[١٧]، مع قيام علماء المسلمين ببعض التّغيير والتّحوير فيه، لجعله أكثر ملاءمة للمفاهيم الإسلاميّة الدّاعية لتقوى الله (ﷻ)، والطّهارة والفضيلة في ممارسة مهنة الطّبّ[١٨].

وعلى هذا الأساس، كان على الطّبيب في ديار الحضارة الإسلاميّة قبل الشّروع بممارسة المهنة أن يتعهّد بـ:

- أن يكون تعلّمه لقواعد الحكمة طالبًا بها وجه الله تعالى وحسن ثوابه.
- أن يمشي إلى الضّعفاء ولا يتكبرّ على الفقراء.
- أن يلقوا المرضى بالبشاشة والإيناس، وإظهار التّفاؤل للمريض فيما يسرّه.
- ألا يعزب في ذكر الأدوية عن المشهور، وأن يكون من عمل هذه الصّناعة متقرّبًا بنصحه إلى الله تعالى لا إلى الخلق.
- ألاّ يصف أدوية لإسقاط الأجنّة، ولا ما يمنع الحبل لقطع النّسل، إلاّ أن يدعو إلى ذلك أمر عظيم خشي منه هلاك المرأة في الحمل والوضع.
- ألاّ يعطي السّموم ولا يعلّمُه ولا يتعلّمه إلاّ في معرض مداواة من علة.

- حفظ الأسرار، فإنّه يطّلع على ما لا يطّلع عليه الآباء والأولاد من أحوال النّاس.
- أن يلزم العفّة وغضّ الطّرف، وإذا دخل بيت النّاس لا يكون همّه إلاّ صالح المريض[١٩].

ومن اللاّفت للنّظر؛ أنّ كثيرًا من هذه الشرّوط والوصايا هي نفسها الّتي ينادي بها الطّبّ الحديث، وهي من أبرز الأبجديّات الّتي لا بدّ لطالب الطّبّ اليوم أن يتقن تعلّمها، وأن يجعلها نظامًا أوليًّا في حياته العمليّة.

ثانيًا: واجبات الطّبيب في ديار الحضارة الإسلاميّة

٢/١-تقوى الله (ﷻ)

إنّ تقوى الله (ﷻ) من أولى الواجبات التي ينبغي لطّبيب المسلمين أن يلتزم بها، يقول الكنديّ [٢٠] في وصيّته للأطبّاء: "وليتّق اللهَ (ﷻ) تعالى المتطبّبُ، ولا يخاطر، فليس عن الأنفس عوض"[٢١]. وفي هذا النطاق أوصى شيخ الأطباء ابن سينا[٢٢] تلامذته أن يكون الله (ﷻ) أوّل فكر الطبيب وآخره، وأن يسافر بعقله في ملكوت الله وما فيه من آيات كبرى، وأن لا يُقصر في الواجبات الشرّعيّة ويعظّم السّنن الإلهيّة والمواظبة على العبادة[٢٣].

ولا أدل على تمسك الطبيب بتقوى الله من فعل الطبيب حنين بن إسحاق مع الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٤-٨٣٣م)، حين طلب منه إعداد سمٍّ لقتل عدوّ له، فرفض برغم عروض الوعد والوعيد، والسّجن مدّة سنة، وهو دأبه في هذه السنة النّقل والتّفسير والتّصنيف، غير مكترث بما هو فيه، بل مُصرّ على التّمسك بتقوى الله وأخلاق المهنة؛ قائلاً: "الدّين يأمرنا بفعل الخير والجميل" و"الصّناعة (أي؛ صناعة الطّبّ) تمنعنا من الإضرار بأبناء الجنس"[٢٤].

٢/٢- احترام الأساتذة وزملاء العمل

أوصى أساتذة أطبّاء المسلمين أن يحترموا ويفضّلوا معلميهم، ويحمدوهم ويخدموهم ويحسنوا مكافآتهم ويكثروا برّهم كما يكثروا برّ آبائهم[٢٥]، ولا يستغنوا عن ملازمة المعلّمين[٢٦]، وأن يتدبّروا الأمر قبل النّطق به في حديثهم معهم، وأن يحرصوا على الاستماع لكلامهم وإرشاداتهم، والإجابة عن السّؤال المحدّد فقط، إذا عرف الطّبيب الجواب، والتّوقف عمّا لا يعرف حتّى يتفكّر ويبحث، ولا يستحي من الازدياد ولا يملّ من الحرص والاجتهاد[٢٧].

والطّبيب الفاضل لا يكون مُحبًّا لسقطات أهل صنعته، بل يستر زلّاتهم[٢٨]، ويحافظ على العلاقات الطّيّبة مع زملاء المهنة، وتوقير أهل الاختصاص، وترك التّباغض والتّحاسد فيما بينهم؛ فذاك من خُلق اللّئام، ولا يليق بالطّبيب الفاضل، بل عليه أن يوقّر زميله في حضرته ويحفظه في غيبته، ويتجنّب الإساءة إليه، ويقدّم له العون والنّصح والمشورة[٢٩]. وعلى الطّبيب الحاذق ألاّ يبخل على من أراد تعلّم هذه الصنعة من المستحقّين لها، بتعليمهم إيّاها بلا أُجرة ولا شرط ولا طلب ولا مكافأة، وأن يمتنع عن تعليمها من لا يستحقّها من الجهّال والمشعوذين[٣٠]، ومن يلتزم بهذا الخلق النّبيل؛ يطيب ذكره، ويظهر فضله بين الأطبّاء[٣١].

٢/٣-حفظ الأسرار

من المعروف أنّ عملية العلاج تتضمّن محاورات عديدة بين المريض وطبيبه، بغرض الحصول على المعلومات والاستفادة منها، وهذه المعلومات يكون المريض هو المصدر الأوّل لها؛ فهي بذلك تتّسم بدرجة كبيرة من الخصوصيّة، لأنّه يكشف أستاره طواعية أمام الطّبيب؛ فقد يُحدِّثه عن إثم أو فعل شائن ارتكبه، ثمّ استمرّ في حياته بستر الله (ﷻ)، كما أنّ كثيرًا من المرضى يكتمون عللهم عن آبائهم وأهليهم ويفشونها إلى الطّبيب، ومن هنا تقتضي القواعد الأخلاقيّة التي أوصى بها أطباء المسلمين أن يصون الطبيب هذه المعلومات، وألاّ يشع أمرها، وأن يحيط هذه المعلومات بسياج من الكتمان[٣٢]، فإن حصل وكشف الطّبيب ما حدّثه به المريض قد يسبّب ذلك له ألمًا نفسيًّا شديدًا، يجعل المريض يستاء ويحزن، وقد يفسد ما كان بينه وبين أهله من مودّة ورحمة[٣٣].

٢/٤-مراعاة الحالة النّفسيّة للمريض

كّد أطبّاء المسلمين عُمق تأثير الأوهام والأحداث النّفسانيّة وأهمّيّة التّفاؤل والبشاشة في صحّة الإنسان ومرضه، وأن على الطبيب أن يسعى دومًا إلى بثّ روح الأمل والتفاؤل في نفس المريض، ويوهمه بالصّحّة ويرجيه بها، حتى إن كان لا يوجد أمل من شفائه[٣٤]. ويضرب الطّبيب أبو القاسم الزّهراوي[٣٥] مثالاً في أهمّيّة مراعاة الحالة النّفسانيّة للمريض بإشارته إلى حالة علاج

كسر انجبر وبقي العضو بعد ذلك رقيقًا على غير طبيعته الأولى، فيكون تدبير هذا الأمر بـ "تغذية العليل وتخضيب بدنه حتّى يكثر الدّم فيه واستعمال الحمّام وإدخال السرّور عليه والفرح ونحو ذلك..."[٣٦].

ومن الوصايا المهمّة أيضًا لأساتذة أطبّاء المسلمين؛ أنّه يجب على الطّبيب تهيئة المريض نفسيًّا للفحص قبل البدء في العلاج، بأن يشرح له ما سيقوم به، وأن يخفّف عنه ويهدئ من روعه إن كان خائفًا أو قلقًا، مع تحذيره إن كان سيقوم بعمل جراحي، مثل الفصد أو غير ذلك[٣٧]، ولا سيما الأطفال، فيوصي الزّهراوي المعالج قبل القيام بعملية الختان: "(لا بدّ) أن توهم الصّبي، ولا سيّما إن كان ممّن يفهم قليلاً، أنّك تربط الخيط ليلةً فقط وتدعه إلى يوم آخر، ثمّ فرّحه وسرّه بكلّ وجه يمكنك منه، وبما يقبله بعقله"[٣٨].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى لما كان الطبيب هو أعلم من غيره ما يعانيه المريض من هشاشة واضطراب في نفسه، فعليه أن يتجنّب قولاً أو فعلاً يؤلم نفس المريض؛ من نظرة دونيّة له، مهما كان مستواه الاجتماعي، ومستوى ذكائه وقدراته العقليّة، أو أن يسخر منه على حديث يدلّ جهله بالأمور الطّبّيّة[٣٩]، فأشاروا إلى أن المريض يكفيه ما به من شدّة أمراضه حتّى تتضاعف عليه إساءة الطّبيب فوقها[٤٠].

٢/٥-مداومة التّحصيل العلميّ

أكّد أساتذة أطبّاء المسلمين أنّه ينبغي للطّبيب النّاجح أن يلتزم بمداومة التّحصيل العلميّ، ويكون ذلك بالتزامه عدة أمور، منها:

- أن يكون حريصًا على القراءة والتّصفّح في علوم الأوائل الطّبّيّة[٤١]، وشديد العناية بالنّظر في كتب أبقراط وجالينوس[٤٢]، ومن يرى رأيهما، والاجتهاد في فهمهما، والبحث في غوامضها، ومذاكرة أهلها[٤٣].
- حريصًا على صيانة نفسه عن الاشتغال باللّهو والطّرب[٤٤].
- أن يواظب على دخول البيمارستانات متجمّلاً بالسّكّينة والوقار فيها[٤٥]، وكثير التّدرّب وملازمة كبار الأطبّاء[٤٦].
- أن يُجدَّ النّظر في العلوم المنطقيّة؛ فلن يكون حكيمًا ماهرًا ما لم يعرف علم المنطق؛ فبه يتمكّن من استخراج الدّواء من طبيعة المرض، وتقسيم أجناس الأمراض على أنواعٍ[٤٧]، كما ينبغي للطّبيب أيضًا أن يعرف في علم الهندسة وعلم النّجوم والموسيقى؛ وإلاّ فلن يعرف تقسيم الأزمنة وحال البلدان، وأثر الألحان في مزاج المريض[٤٨].

٢/٦-الاجتهاد في العلاج

يقول الطّبيب عيسى أبو قريش: "علينا الاجتهاد، والله يهب السّلامة"[٤٩]، فقد كان لأطبّاء المسلمين في مسألة العلاج والدّخول على المرضى وسؤالهم، طريق مرسوم من قبل أساتذة الطّبّ ورجال الحسبة، ووجب عليهم اتّباعه؛ مثل: حسن استماعهم لشكوى المريض والترّفّق بهم واستعمال الدّواء الأنسب، فإن أمكن الطّبيب أن يعالج بالغذاء فلا يقرب الدّواء أو يعالج بالدّواء فلا يقرب الحديد، ويصف لكلّ مريض على قدر حاله، ولا يصف له دواءً معدومًا ولا يذكر له اسمًا مجهولاً أو غريبًا[٥٠]، وألاّ يكون غرضه في مداواة المرضى طلب المال، بل الأجر والثّواب[٥١].

وإذا بدأ الطّبيب في الفحص، ولكي يتمكن من تشخيص نوع المرض إن كان نفسيًّا أم عضويًّا، فعليه ألاّ يحصر الفحص بمعاينة العضو المريض وحسب، بل يشمل البدن كلّه، ويرافق عمليّة الفحص طرح بعض الأسئلة التي تتعلّق بطريقة معيشته وعاداته والأمراض الّتي أصيب بها قبل، وعن حالته الصّحّيّة ومناخ بلاده، وعن الأحداث النّفسانيّة الّتي تعرّض لها[٥٢]، يقول الرازي: "ينبغي للطبيب ألاّ يدع مساءلة المريض عن كلّ ما يمكن أن تتولّد عنه علّته من داخل ومن خارج ثمّ يقضي بالأقوى"[٥٣]. ويضاف إلى ذلك، إمعان الطّبيب النّظر بوجه المريض ولون سحنته وملمس شعره، وعمق تنفّسه، وفحص البول وقياس النّبض، والانتباه إلى حالة المريض النّفسيّة وردود أفعاله؛ إن كان هادئًا أو مضطربًا، بطيئًا أو مندفعًا، ومدى احتواء كلام المريض على مظاهر الهوس والهذاءات المتنوّعة ومدى الخلوّ منها[٥٤].

وهنا المقام يستوجب أن نبيّن أنّه كان من عادة بعض الأطبّاء تشخيص المرض بفحص (التّفسرة) فقط، دون أن يقابل المريض بصورة مباشرة، وقد نبّه حذّاق الأطبّاء على خطورة ذلك[٥٥]، وأنّ ذلك يفضي إلى مفسدة كبيرة، إذ قد

يرى الطّبيب التّفسرة، ومن ثمّ يبحث عن سبب العلّة، فلا يجد لها علامة واضحة بجسم المريض، وإنّما يكون سببها اضطراب نفسيّ، مثل: خوف أو قلق من أمر ما أو انفعال نفسي شديد، وهذا الأمر لا يُكشف إلاّ من خلال المحاورة بين الطّبيب والمريض، وهذا ما أكّده الرّهاوي بقوله: "من أصحاب المالنخوليا[٥٦] وغيرهم، ممّن تداخلهم الرّعب والفزع من أشياء فذابت أبدانهم، واصفرّت ألوانهم، فلم يقدر فيهم على علامة تدلُّ على مرض... فيحتاج أن يكون الطّبيب لذلك ذكيًّا فطنًا لاستخراج السّبب، ولمقابلته بالحيلة"[٥٧].

٢/٧-حسن الاستماع لشكوى المريض

كان من ملامح الطّبيب ذي الخبرة؛ الحوار الّذي يُجريه مع مريضه، وهو حوار متقن يتبع فيه منهجًا علميًّا، وعلى هذا الأساس تأتي أهمّيّة التزامه بأدب الحديث وحسن الاستماع الجيّد للمريض، وأن يجلس قريبًا منه بحيث يرى وجهه ويقابله ويسمع كلامه ويسأله عمّا يجب أن يسأل عنه وينصت لشكواه، ولا يقنَع بقول المريض حتّى يستشهدَ عليه بقول من يخبر أمره من أهله، فإنّه ربّما استحى المريض أو فزِع أو كتم شيئًا ممّا قد استعمله أو نسيه، وربمّا كان المريض لا يحسن أن يعبرّ عمّا يجد إمّا لسوء تصرّفه في العبارة أو لغموض العلّة[٥٨]. وعلى الطّبيب أن يختار في أثناء حديثه مع مريضه العبارات المناسبة الطَّيِّبة، من دون الإسراف في حديث في غير موضعه[٥٩]، يقول الطبيب ابن ربن الطّبري[٦٠]: "أنْ يجعل (الطّبيب) همَّتُه في الفعل دون القول؛ لأنّ زيادة الفعل على القول مكرمة، وزيادة القول على الفعل منقصة"[٦١].

٢/٨-التواضع والقدرة على التّعايش مع مختلف أطياف المجتمع

فرضت طبيعة مهنة الطّبّ، أن يتعامل الطّبيب مع جميع النّاس، باختلاف ثقافاتهم، وأفكارهم، وأجناسهم؛ وأن يعالج الفقراء، كما يعالج الأغنياء [٦٢]. والطّبيب الفاضل أولى النّاس أن يتخلّق بخلق التواضع؛ لرفيع مقامه وشرف مهنته، وإنّ امتلاك الطّبيب لهذه السمة، تجعله أقرب لامتلاك قلب مريضه وثقته، وبذلك يضمن أكثر نجاح العمليّة العلاجيّة ووصولها إلى المبتغى[٦٣]. إلاّ أنّه بالمقابل؛ ينبغي له أن يمنح الودَّ لأهله؛ فالتّواضع في هذه المهنة زينة وجمال، ولكن دون ضِعة النّفس، لأنّه قد يفهم اللّئيم تواضعه ذُلاًّ؛ فيجب أن يكون تواضعه بحسن اللّفظ وجيّد الكلام ولينه، ويترك الفظاظة والغلظة على النّاس[٦٤].

ثالثًا: حقوق الطّبيب في ديار الحضارة الإسلاميّة

تمتع الأطبّاء في ظل الحضارة العربية الإسلامية بحقوق واسعة، ونالوا الاحترام والتّقدير من الخلفاء والوزراء وعامّة النّاس، وبلغوا – حتى غير المسلمين منهم- المراتب العالية في الدّولة[٦٥]. ويمكن تقسيم حقوق الطّبيب كما جاءت في كتب التّراث على:

٣/١-تكريم الأطبّاء

جاء في التراث العربي الإسلامي أنه اجتمع للأطبّاء خمس خصال لم تجتمع لغيرهم: الأولى: اتّفاق أهل الملل والأديان على تفضيل صنعتهم. الثّانية: اعتراف الملوك، والسّوقة بشدّة الحاجة إليهم؛ إذ هم المفزع والغياث، حين لا ينفع عدّة ولا عشيرة. الثّالثة: مجاهدة ما غاب عن أبصارهم. الرّابعة: اهتمامهم الدّائم بإدخال السرّور والرّاحة على غيرهم. الخامسة: الاسم مشتقٌّ من أسماء الله تعالى (الحكيم)[٦٦].

لقد عُرِفَ علم الطّبّ عند المسلمين، بأنّه علمٌ إنسانيٌّ بعيدٌ عن الهوى والتّعصب من أيّ نوع، فقد أوصى النّبي محمد (ﷺ) بالتّطبّب عند الطّبيب النّصراني الحارث بن كلدة[٦٧] لمهارته في صنعته[٦٨]. وفي العصور الإسلامية اللاحقة تمتّع الأطبّاء بالمكانة الرّفيعة، فيقول الرّازي في ضرورة احترام الأطبّاء وإجلالهم: "ينبغي لمن يختصّ المتطبّب لنفسه، من الملك والأكابر والسّوقة، أن يبالغ في تطيب قلبه بلطيف الكلام، وأن يرفعه فوق جميع من في مجلسه من خدمه وغيرهم، فإن هم إلاّ خدّام الجسم، والمُتَطَبب خادم روح"[٦٩].

وكان من مظاهر اعتزاز أطبّاء المسلمين بمكانتهم العلميّة وكرامتهم وترفُّعهم عن كلّ تبذّل، ما أتى عن الطبيب ابن الجزّار القيروانيّ[٧٠] من معلومات تاريخيه تفيد أنه كان يحضر الجنائز والعرائس ولا يأكل فيها ولا يركب قطّ إلى سلطان[٧١]. غير أنّه مع إقرار الملوك والعامّة بشدّة الحاجة إلى الطّبيب، ومكانته وفضله[٧٢]، استهان بعض العامّة، ولا سيّما الجهّال منهم بمهنة الطّبّ وعظيم فائدتها، فلم يدرك هؤلاء مدى أهمّيّة علم الطّبّ، ولا أهمّيّة

أن يكون الطّبيب عالماً متمرِّسًا في مهنته[٧٣]، واستشهدوا بأراجيز بعض الشّعراء، وأقوال للعامّة، يسخرون فيها من مهنة الطّبّ وأهلها.

فواحدٌ يقول: "ما للطّبيب يَمُوتُ بالدّاء الّذي قد كان يشفي غيرَه فيما مضى!". وآخر يقول: "المَوت شيء لا بدّ منه، وإنّما الطّبيب يطيّب القلوب"، وقالوا أيضًا "مادام الإنسان حيًّا ما يضرّه شيء، فإذا جاء الموت ما يفيده شيء"[٧٤]. ويُرجع الأطباء سبب استهانة بعض النّاس بالأطبّاء إلى استهانة الأطبّاء أنفسهم بشرف المهنة، فيقول ابن بطلان[٧٥] في ذلك: "كلّ هذا من عجز الأطبّاء، وقلّة خبرتهم بكتب القدماء، فانقرضت الصّناعة ووَهِيَ نظام سلكها... فهانت في النّفوس، ودثرت، وخلت من الفضلاء، فصَار الآن يتعاطاها القوابل وقوّام الهياكل"[٧٦].

غير أنّ أساتذة علم الطّبّ في دولة الإسلام ردّوا بشدّة على من ينكر أهمّيّة هذا العلم في حياة النّاس، ومن ذلك ما قاله ابن ربن الطّبري: "أنّ قومًا من كَتَبَة زماننا هذا، دعاهم العجب بأنفسهم والجهل بأقدارهم إلى أن أبطلوا الطّبّ، وزعموا أنّه ليس في الأشياء منافع للأبدان والنّاس والأمصار، ومن قال ذلك لم يستحق جوابًا ولا عقابًا، وكان بمنزلة الوطواط والبوم اللّذان يعميان عن نور الشّمس ولا يُحسّانه"[٧٧].

٣/٢-الحصانة

عرَف القدماء المسؤوليّة الطّبّيّة الّتي ينبغي للطّبيب أن يتحمّلها هو ومن في حُكمه ممّن يزاولون المهنة الطّبّيّة، وسجلوا شروطًا محدّدة لممارسة المهنة في دساتيرهم، وتقع على المخالف لها عقوبات صارمة، قد تصل إلى قطع اليد أو الإعدام في حال وفاة المريض، غير أنّ هذه التّدابير القاسية دفعت بعدد من الأطبّاء في كثير من الأحيان، أن يحجموا عن التّطبيب أو يشرطوا عدم المسؤولية[٧٨]. أمّا في ديار الحضارة الإسلاميّة، فقد منحت الدّولة الطّبيب قدرًا كبيرًا من الحرّيّة في ممارسة المهنة، ولكنّها حرّيّة مسؤولة، فالطّبيب مسؤولٌ أمام الله (ﷻ) وأمام المحتسب، وفي الوقت ذاته يتمتّع بحصانة محدّدة المعالم، كانت خير معين له على ممارسة مهنة الطّبّ بحرية، ودفعت بكثير من الأطبّاء إلى الإبداع، دون خوف من عقابٍ أو اضطهادٍ[٧٩].

لقد جاءت توصيات أساتذة أطباء المسلمين أنّه ينبغي للطّبيب الماهر أن يكون واثقًا من نفسه وكفاءته، شجاعًا، وألاّ يُحجم عن مساعدة المريض، بل عليه القيام بواجبه الطّبّيّ الّذي أناطه الله به[٨٠]. وكانت من الحقوق المحفوظة للطّبيب الّذي يحمل إجازة الطّبّ؛ ألاّ يُسأل عن الضرّر الّذي يصيب المريض، ولو مات من جرّاء العلاج، ما دام المريض قد أذن له بعلاجه، ولم يقع من الطّبيب خطأ في هذا العلاج، وإن حدث مثل هذا الموقف؛ فكان يحضر أهل المريض إلى (رئيس الأطباء) ويكون معه عدد من العلماء بصناعة الطّبّ، ويقدم الأهل لهم النسخ، الّتي كان قد كتبها الطّبيب عن حالة المريض، فإن رأوا فيها أنّها على مقتضى الحكمة وصناعة الطّبّ من غير تفريط ولا تقصير من الطبيب، أعلموا الأهل بذلك، وإن رأوا الأمر بخلافٍ ذلك قالوا للأهل: "خذوا دية صاحبكم من الطّبيب، فإنّه هو الّذي قتله بسوء صناعته وتفريطه"[٨١].

٣/٣-أجور الأطبّاء

يشهد التّاريخ على مقدار ما وصل إليه العديد من أطبّاء المسلمين من حسن ورغد العيش؛ فيُحكى أنّ الخليفة هارون الرّشيد (170-193هـ/787-809م) سأل ذات يوم صاحب حرسه عن جملة ما يمنح من المال والعطاء في السّنَة من جانب الخلافة، ثمّ سأل حاجبه السّؤال ذاته، فأدرك أنّهما ينالان أكثر ممّا يناله كبير أطبّائه جبرائيل بن بُخْتيشوع[٨٢]، فعجب من ذلك الخليفة، ورأى أنّه لم يكن منصفًا مع طبيبه؛ إذ كيف يكون عطاؤه أقلّ منهما مع أنّه يعتني بصحّته، ويعالجه من الأسقام الّتي كانت تعتريه، وأمر على الفور بأن يعطى أكثر مما يعطي صاحب حرسه وحاجبه[٨٣]. وقد وصل التّرف عند الطّبيب بُخْتيشوع بن جبرائيل أن يجلس في الحرّ في مجلس مخيش بعدّة طاقات، يتوسّطها ستارة من قصب صبغ بماء الورد، وبجانبها مواضع مكسوّة بالثّلج، وغلمان بجانبه يروحون ذلك، فيخرج منه الهواء البارد[٨٤].

أما في مجال العمل الحرِّ في ممارسة مهنة الطّبّ، فلم يكن هناك أجرة محدّدة لفحص المريض ومعالجته - بالمعنى الّذي نفهمه اليوم- بل كان الطّبيب يتقاضى أجرة حسب حالة المريض الماليّة في أغلب الأحيان، فمنهم من أخذ ما يستحقّه وأكثر، ومنهم من عالج الفقراء بالمجّان[٨٥]، ومنهم بأجور بسيطة، مثل الطّبيب إسحاق بن عمران،

الّذي كان يفحص المرضى بأجرٍ محدود جدًّا[٨٦]. أمّا أجور الأطبّاء في البيمارستانات، فكانت تشبه ما تطبقه اليوم بعض المستشفيات؛ إذ خصصت الدّولة للأطبّاء رواتب شهريّة تتفاوت حسب شهرة الطّبيب وعلمه وكفاءته، ويضاف إليها أجورٌ أخرى لقاء قيامهم بأعمالٍ إضافيّة؛ مثل التّدريس أو الترّجمة[٨٧].

خَاتمَةٌ

توصّل البحث إلى النتائج الآتية:

- حرص أطبّاء المسلمين على التزامهم بالقواعد الأخلاقيّة في ممارستهم للمهنة، ودعوا إلى تجنّب كلّ ما يسيء إلى شرفها، ويتنافى مع أهدافها الإنسانيّة.
- ظهر تناغم بديع بين تطبيق العلم والشرّع في سلوك الطّبيب في ديار الحضارة الإسلامية، فهو يحمل شرف أمانة الإسلام أوّلاً، وأمانة المحافظة على صحّة الإنسان ثانيًا.
- زخرت كتب التراث العربي الإسلامي بأسماء العديد من أطبّاء الذين التزموا بقواعد المهنة، ليصلوا إلى درجة رفيعة من الاستواء في الشّخصيّة الإنسانيّة، فتركوا تُراثًا طبّيًّا أخلاقيًّا خالدًا، يُقتدى به في كلّ زمان.
- لم يكن السّلوك الأخلاقيّ الموصى به لأطباء الدولة الإسلامية، واجبًا على الطّبيب المسلم فحسب؛ بل على جميع الأطبّاء على اختلاف أجناسهم ودياناتهم ونحلهم.
- لا يسمح لطبيب المسلمين بمزاولة المهنة إلا بعد تجاوزه لامتحان الأطباء ومنحه إجازة ممارسة المهنة.
- منحت الدّولة الإسلامية الطّبيب قدرًا كبيرًا من الحرّيّة في ممارسة المهنة، ولكنّها حرّيّة مسؤولة، فالطّبيب مسؤولٌ أمام الله وأمام المحتسب.
- تمتع الأطبّاء في ظل الحضارة العربية الإسلامية بحقوق واسعة، ونالوا الاحترام والتّقدير من الخلفاء والوزراء وعامّة النّاس.
- رد أساتذة الطب بشدّة على من ينكر أهمّيّة هذا العلم في حياة النّاس.
- عاش الأطباء في كنف الدولة الإسلامية في بحبوحة من العيش، وصلت لدرجة الترف عند العديد منهم.

وتبقى **كلمة أخيرة** لا بد من ذكرها، كعبرة نستقيها من دراسة واجبات الطبيب وحقوقه في ديار الحضارة الإسلامية؛ إنَّ "رقابة الضّمير أقوى من رقابة الأمير"، ومن قال إنّ الضّمير شيء والعمل شيء آخر، فكأنه بقوله هذا يقصّ الجسم الإنسانيّ الحيّ الكامل بمقص إلى نصفين. فقضيّة السّلوك المهني لا تُحلّ بقسم، ولا تستوفى بدراسة كتب في آداب ممارسة مهنة الطّبّ، ولا يمكن أن تحكمها قواعد قانونيّة تقرِّرها نقابة مهنيّة بصورة كاملة؛ لأنّ رعاية الإنسان الضّعيف توجب على الطّبيب أن يحمل التزامات أخلاقيّة نابعة من ضميره. إذ إنّه من الطّبيعي أن تواجهه خلال ممارسته اليوميّة للمهنة، العديد من المواقف الشّائكة، وقد يكون منها مواقف لم تشملها القواعد القانونيّة، فحينها سيستلزم من الطبيب استفتاء ضميره الإنسانيّ الخيرّ، وسيظهر مدى التزامه تجاه ربّه وقيمه الأخلاقيّة.

الاحالات المرجعية:

(١) **حمورابي**: هو سادس ملوك بابل، عاش في السنة ٢٠٠٠ ق.م تقريبًا، وطال عهده ثلاثة وأربعين عاما قدر له فيها أن ينهض ببابل من دويلة صغيرة إلى عاصمة دولة كبيرة ذات إمكانات عديدة وأملاك واسعة وشهرة ضخمة، وبدأ تشريعاته التي خلدت اسمه في التاريخ منذ العام الثاني من حكمه، وخلد كتبته هذه البداية في تسمية عامها باسم عام إقرار حمورابي "العدالة في الأرض". (عطية مشرفة: **التشريع والقضاء في العهد الفرعوني**، مجلة الرّسالة، (ع ٢٢٦)، القاهرة، مصر، ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م، ص١٨).

(٢) حديث حسن. (محمد الألباني: صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، الإسكندرية، مصر، (د.ت)، ج٧، ص٤٦٦).

(٣) ابن الأخوة، ضياء الدين محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد (ت ٧٢٩هـ/١٣٢٨م): **معالم القربة في طلب الحسبة**، دار الفنون، كمبردج، (د.ت)، ص١٦٧.

(٤) الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (ت نحو ٥٩٠هـ/١١٩٤م): **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م)، ص٩٧.

(٥) **سنان بن ثابت**: هو الطبيب أبو سعيد سنان بن ثابت، والد مصنف التّاريخ والطّبيب ثابت بن سنان بن قرة، وقد أسلم سنان على يد الخليفة القاهر بالله، وقد طبب جماعة من الخلفاء العبّاسيين، وقد وصف أنه كان متفننًا في صنعته. (الذّهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج٢٥، ص٨).

(٦) القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م): **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص١٤٨- ١٤٩؛ ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م): **عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء**، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص٣٠٢.

(٧) القفطي: **إخبار العلماء**، ص١٤٨- ١٤٩؛ ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص٣٠٢.

(٨) الرّهاوي، إسحاق بن علي (ت في القرن ١١هـ/١٧م): **أدب الطَّبيب**، تحقيق مريزن عسيري، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربيّة السعودية، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص٢٤٣.

(٩) علي عيسى: **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٤٣.

(١٠) الرّازي، أبو بكر محمد بن زكريا (ت ٣١٣هـ/٩٢٥م): **الحاوي في الطب**، تحقيق هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج٧، ص٤٢٦.

(١١) **يوحنا بن ماسويه**: هو أبو زكريّا يوحنّا (يحيى) بن ماسويه، من أطبّاء بيمارستان جنديسابور، مسيحيّ المذهب سريانيّ، وقد وصف أنّه طبيب فاضل، مقدّم عند الخلفاء، وكان قد خدم هارون الرّشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكّل. (ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي (ت ٤٣٨هـ/١٠٤٦م): **الفهرست**، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص٣٧٥؛ ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت نحو ٣٨٣هـ/٩٩٤م): **طبقات الأطبّاء والحكماء**، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م،ص٦٥؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٤١٤).

(١٢) ابن النديم: **الفهرست**، ص٣٥٧.

(١٣) **حُنين بن إسحاق**: هو أبو زيد حنين بن إسحق العَبّادي، طبيب ومترجم من نصارى الحيرة، عاش في بغداد، تتلمذ على يد يوحنا بن ماسويه، وترجم العديد من المصنفات من اليونانيّة والسُّريانيَّة إلى العربيّة، فعينه الخليفة المأمون رئيسًا لبيت الحكمة، وترقى في عهد المتوكِّل ليصبح طبيب الخليفة، وتوفي في بغداد سنة ٢٦٤هـ/٨٧٩م). (ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص٢٥٧وما بعدها).

(١٤) القفطي: **إخبار العلماء**، ص١٠٥.

(١٥) **الرازي**: هو أبو بكر محمّد بن زكريّا الرّازي، من أئمّة صناعة الطّبّ، وصف بأوحد دهره وفريد عصره، وأنّه كان كريمًا متفضّلاً بارًا بالنّاس، نشأ في مدينة الرّيّ، ثم سافر إلى بغداد، وهناك وجد متّسعًا له لدراسة علم الطّبّ، وبأمر من الخليفة عضد الدّولة أشرف على تشييد بيمارستان كبير فيها، وفي آخر زمانه فقد بصره، لنزول ماء على عينيه، وبعد وفاته سنة (٣١٣هـ/٩٢٥م) جمع تلامذته مسوّدات كتابه (الحاوي) ورتّبوها ليخرج الكتاب بالصورة التي نعرفها اليوم. (ابن النديم: **الفهرست**، ص٣٦٠؛ ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص٤١٤-٤١٥).

(١٦) الرّازي: **الحاوي**، ج٧، ص٤٢٨؛ القفطي: **إخبار العلماء**، ص١٨٢؛ ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص٤٢٥.

(١٧) **أبقراط**: فيلسوف وطبيب إغريقي (٤٦٠- ٣٧٠ق.م)، وصفة أبقراط أو بقراط أو إبُقراط تعني (ماسك الروح) أو (ماسك الصحة)، وهو من أعظم أطبّاء عصره؛ إذ اعتمد في العلاج على الملاحظة والتجربة، وابتعد عن السحر والشعوذة، وكان أول من علّم الغرباء هذه المهنة، وعالج النّاس احتسابًا، حتى لقب بأبي الطب، وهو صاحب فكرة (القسم الطبي) الذي يؤديه الأطبّاء قبل الشروع بمزاولة المهنة، ومن مؤلفاته الطبية: كتاب الفصول وتقدمة المعرفة، طبيعة الإنسان، كتاب الأخلاط. (ابن جلجل: **طبقات الأطبّاء**، ص١٦؛ القفطي: **إخبار العلماء**، ص٧٤؛ ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص٤٣-٤٤).

(١٨) الرّهاوي: **أدب الطَّبيب**، ص١٦٤- ١٦٥.

(١٩) الشيزري: **نهاية الرتبة**، ص٩٨؛ ابن الأخوة: معالم القربة، ص١٦٧.

(٢٠) **الكندي**: هو الطبيب والفيلسوف أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكنديّ، ينتسب إلى قبيلة (كِندة) اليمنيّة، قضى طفولته في الكوفة، وبدأ يتلقّى علومه فيها، ثمّ انتقل إلى بغداد، وكان من النشطاء في حركة ترجمة الكتب اليونانيّة إلى اللغة العربيّة، فغدا واسع الاطّلاع، عالماً بالطّبّ والفلسفة وعلم الحساب والمنطق والهندسة وطبائع الأعداد والهيئة، ومن مصنّفاته: الطّبّ الرّوحانيّ، كيفيّة الدّماغ، النّفسيّات، كتاب في علّة النّوم والرؤيا وما تأمر به النّفس، رسالة في الأخلاق، توفي نحو ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م. (القفطي، **إخبار العلماء**، ص٢٧٤-٢٧٥؛ ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ص٢٨٦).

(٢١) ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص٢٨٨؛ العمري: أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت٧٤٩/١٣٤٨م): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربيّة المتحدة، ط١، ١٤٢٣/٢٠٠٢م، ج٩، ص٤١.

(٢٢) **ابن سينا**: هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا، ولد بالقرب من بخارى في قرية أفشنة، ثمّ انتقل إلى بخارى ليتلقّى فيها علوم القرآن الكريم والشّريعة، وحين بلوغه العاشرة من عمره حفظ القرآن الكريم ودرس الرّياضيّات والمنطق والفلك، وبدأت تظهر عليه علامات النّبوغ والعبقريّة، وسعى إلى مزيدٍ من العلم والمعرفة، فرغب بدراسة علم الطّبّ، حتى برع فيه ولقب بالشيخ الرئيس، ومن أشهر مؤلفاته الطبية كتابه القانون في الطب، كما شارك في الحياة السياسيّة، وتقلّد الوزارة مرّتين لشمس الدّولة البويهي، ما بين (٤٠٥- ٤١٢/١٠١٤- ١٠٢١م)، توفي في سنة (٤٢٨/١٠٣٧م). (القفطي، إخبار العلماء، ص٣٠٥؛ ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ص٤٣٧؛ الكاشي، يحيى بن أحمد (ت بعد ٧٤٥/١٣٤٤م)، **نُكت في أحوال الشيخ الرئيس ابن سينا**، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، مصر، ١٣٧١/١٩٥٢م، ص٩-١٨).

(٢٣) ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص٤٤٥-٤٤٦.

(٢٤) القفطي: **إخبار العلماء**، ص١٣٥؛ ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص٢٦١؛ العمري: **مسالك الأبصار**، ج٩، ص٤١١.

(٢٥) المجوسيّ، علي بن عبّاس (ت٣٨٤/٩٩٤م): **كامل الصّناعة الطبية** (الملكي)، (مخطوط)، ٩١١/١٥٠٥م، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربيّة السعودية، رقم ٣٣٦١، ج١، ص٥.

(٢٦) ابن ربن الطّبري، أبو الحسن علي بن سهل (ت ٢٥٦/٨٧٠م): **فردوس الحكمة في الطب**، تحقيق محمد زبير الصديقي، مطبع آفتاب، برلين، ألمانيا، ١٣٤٦/١٩٢٨م، ص٨.

(٢٧) صاعد الأندلسي، أبو العلاء صاعد بن الحسين (ت بعد ٤٦٤/١٠٧١م): **التشويق الطبي**، تحقيق مريزن عسيري، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦/١٩٩٦م، ص٦٦.

(٢٨) ابن ربن الطّبري: **فردوس الحكمة**، ص٤.

(٢٩) صاعد الأندلسي: **التّشويق الطّبّيّ**، ص٦٦.

(٣٠) المجوسيّ: **كامل الصّناعة**، ج١، ص٥.

(٣١) ابن ربن الطّبري: **فردوس الحكمة**، ص٤.

(٣٢) المجوسيّ: **كامل الصّناعة**، ج١، ص٥؛ صاعد الأندلسي: **التّشويق الطّبّيّ**، ص٨٧-٨٨.

(٣٣) الرّازي، أبو بكر محمد بن زكريا (ت ٣١٣/٩٢٥م): **أخلاق الطّبيب**، تحقيق عبد اللطيف العبد، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ١٣٩٧/١٩٧٧م، ص٢٧.

(٣٤) الرازي: **أخلاق الطّبيب**، ص٦٧.

(٣٥) **أبو القاسم الزّهراوي**: هو خلف بن العبّاس الزّهراوي، طبيب مسلم، ولد في الزّهراء في الأندلس، وقد وصف أنّه كان طبيبًا فاضلاً خبيرًا بالأدوية المفردة والمركّبة، جيّد العلاج، ويشهد له التّاريخ أنّه من أبرز الجرّاحين في العصور الوسطى، ومن أشهر مؤلفاته موسوعته الطّبّيّة (التّصريف لمن عجز عن التّأليف)، توفي نحو (٤٠٤/١٠١٣م). (ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص٥٠١).

(٣٦) الزهراوي، أبو القاسم خلف بن عباس (ت ٤٠٤/١٠١٣م): كتاب الزهراوي في الطب لعمل الجراحين "وهو المقالة الثلاثون من **التصريف لمن عجز عن التأليف** (العمل باليد)"، تحقيق محمد زكور، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سورية، ١٤٣٠/٢٠٠٩م، ص٤٨٩.

(٣٧) الرّازي: **الحاوي**، ج٧، ص٤٢٥.

(٣٨) **كتاب الزهراوي**، ص٢٧١.

(٣٩) الجوزية: **زاد المعاد**، ج٤، ص١٠٧.

(٤٠) صاعد الأندلسي: **التّشويق الطّبّيّ**، ص٩١.

(٤١) الرّهاوي: **أدب الطّبيب**، ص٤٤، ١٤٥؛ صاعد الأندلسي: **التّشويق الطّبّيّ**، ص٦٥.

(٤٢) **جالينوس**: طبيب إغريقي، ويعد الشخصية الطبية المميزة الثانية بعد أبقراط، رحل إلى الإسكندرية وتلقى الطب فيها علمًا وعملاً، ثم شد رحاله إلى جزيرة قبرص وفلسطين للدرس والبحث عن الأعشاب الطبية والاتصال بالعلماء، ثم عاد بعدها إلى موطنه ومارس مهنة الطب هناك مدة، ثم استقر به المقام في روما، وأسس فيها حلقة لتدريس علم الطب، وأهم ما يميز منهجه، هو إعطاء الأولوية للملاحظة التشريحية، وكان عدد كبير من أطبّاء القرون الوسطى، ومن ضمنهم أطبّاء المسلمين يدرسون التشريح عن طريق مؤلفاته، توفي سنة (٢٠١م). (ابن النديم: **الفهرست**، ص٣٤٧- ٣٤٨).

(٤٣) صاعد الأندلسي: **التّشويق الطّبّيّ**، ص٦٦.

(٤٤) الرّازي: **أخلاق الطّبيب**، ص١٩؛ صاعد الأندلسي: **التّشويق الطّبّيّ**، ص٦٦.

(٤٥) صاعد الأندلسي: **التّشويق الطّبّيّ**، ص٨٥.

(٤٦) ابن ربن الطّبري: **فردوس الحكمة**، ص٦؛ صاعد الأندلسي: **التّشويق الطّبّيّ**، ص٦٦.

(٤٧) صاعد الأندلسي: **التّشويق الطّبّيّ**، ص٦٩.

(٤٨) الرّازي: **الحاوي**، ج٧، ص٤٢٦؛ المجوسيّ: **كامل الصّناعة**، ج١، ص٧.

(٤٩) القفطي: **إخبار العلماء**، ص٣١٥.

(٥٠) ابن ربن الطّبري: **فردوس الحكمة**، ص٥؛ صاعد الأندلسي: **التّشويق الطّبّيّ**، ص٨٦.

(٥١) المجوسيّ: كامل الصّناعة، ج١، ص٥.

(٥٢) ابن سينا، أبو علي الحسن بن عبد الله بن الحسن (ت ٤٢٨/١٠٣٦م): **القانون في الطب**، تحقيق محمد الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠/١٩٩٩م، ج١، ص١٣٠.

(٥٣) ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص٤٢١.

(٥٤) علي بن رضوان، ابن علي بن جعفر (ت ٤٥٣/١٠٦١م): **الكفاية في الطّبّ**، تحقيق سلمان قطاية، دار الرّشيد، بغداد، العراق، ١٤٠١/١٩٨١م، ص٥٤.

(٥٥) الرّازي: **أخلاق الطّبيب**، ص٨٩.

(٥٦) **الماليخوليا**: أو المالنيخوليا أو الماخوليا أو ما تعرف أيضًا بالسّوداويّة؛ هي تغيّر الأفكار والظنون عَن المجرى الطبيعي إلى خوف ومزاج سوداوي يسيطر على الدِّماغ. (ابن سينا: **القانون**، ج٢، ص١٠٣). وهي في الأصل مصطلح يوناني، مركب من لفظين مختلفين يتكاملان معًا في تشكيل دلالته:

(Melanos) وتعني الأسود، و(Kholé) وتعني المرّارة، والتّضافر بين اللفظين يدل على الغدة المسؤولة على تخزين وإفراز خليط السوداء وتحريره في الجهاز الهضمي، وقد عرّفها الطّبّ الحديث بأنها حالة من الاضطراب النّفسيّ الاكتئابي -حسب تصنيف الجمعية الأمريكية للطّبّ النّفسيّ- تظهر آثارها بوضوح في الجانب الانفعالي لشخصية المريض، وهي من أكثر الاضطرابات النّفسيّة شيوعًا في العالم، وتستلزم تدخل الطّبّ النّفسيّ للخروج من هذه الحالة المرضيّة. (القلسي، عبد الرزاق، **الاكتئاب والطب النّفسيّ في الحضارة العربيّة الإسلامية**، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، https://www.mominoun.com/، ١٤٣٦/٥/١٥م، ص٤؛ American Psychiatric Association, Depression, www.psychiatry.org

Taylor, Michael, Melancholia, The Diagnosis, Pathophysiology and Treatment of Depressive Illness, Hardcover, 2016, p5-6).

(٥٧) **أدب الطَّبيب**، ص١٠.

(٥٨) صاعد الأندلسي: **التّشويق الطّبّيّ**، ص٨٣.

(٥٩) الرّازي: **أخلاق الطَّبيب**، ص٤٠؛ صاعد الأندلسي: **التّشويق الطّبّيّ**، ص٧٧.

(٦٠) **ابن ربن الطبري**: هو أبو الحسن علي بن سهل بن ربّن الطّبري، من أسرة فارسيّة نصرانيّة، برعت في العلوم في طبرستان، واشتهر هو بالطّبّ والفلسفة والطّبيعيّات، ومن أشهر تلامذته؛ الطّبيب أبو بكر الرّازي، عمل ابن ربن في بداية أمره كاتبًا للمازيار محمّد بن قارن، ولما اعتنق الإسلام قربه إليه الخليفة المعتصم، ثمّ أدخله المتوكّل في جملة ندمائه، ومن مؤلفاته كتابه (فردوس الحكمة) الذي يُعَدّ أقدم موسوعة طبيّة جامعة، توفي بعد ٢٣٦/٥/٨٦١م. (القفطي: **إخبار العلماء**، ص١٧٨؛ ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص٤١٤).

(٦١) **فردوس الحكمة**: ص٤.

(٦٢) الرازي: **أخلاق الطَّبيب**، ص٣٧.

(٦٣) صاعد الأندلسي: **التّشويق الطّبّيّ**، ص٥٥، ٦٦.

(٦٤) الرّهاوي: **أدب الطَّبيب**، ص٨٤.

(٦٥) محمود الحاج قاسم: **السلوك الطبي للأطبّاء العرب والمسلمين**، المجمع العلمي العراقي، (ع٢)، بغداد، العراق، ١٤٠٣/٥/١٩٨٣م، ص١٦٥.

(٦٦) الرهاوي: أدب الطَّبيب، ص٨٧- ٨٨.

(٦٧) **الحارث بن كلدة**: يعرف بـ (طبيب العرب)، تعلم الطّب ببلاد فارس، وعاصر أيام النبي محمد (ﷺ)، والخليفة معاوية بن أبي سفيان (ﷺ) (٤١ه-٥٦/٦٦١- ٦٨٠م). (ابن جلجل: طبقات الأطبّاء، ص٥٤؛ الذّهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٤، ص١٩٢- ١٩٣).

(٦٨) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠/٥/١٢٣٢م): **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق علي محمد معوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥/٥/١٩٩٤م، ج١، ص٥٩٦.

(٦٩) أخلاق الطَّبيب، ص٣١- ٣٢.

(٧٠) **ابن الجزار القيرواني**: هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد بن الجزّار، من مدينة القيروان، وكان أبرز الممارسين لمهنة الطّبّ فيها آنذاك، وقد وُصِف أنّه من أهل الحفظ والدّراسة للطّبّ وسائر العلوم حسن الفهم لها، ومن أشهر مؤلفاته (سياسة الصّبيان وتدبيرهم)، توفي (٣٦٩/٥/٩٨٠م). (ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص٤٨١).

(٧١) ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص٤٨١.

(٧٢) ابن ربن الطّبري: **فردوس الحكمة**، ص٤.

(٧٣) مريزن عسيري: **علم الطب وأهميته وشرفه ومعاييره الأخلاقية والعلمية عند المسلمين**، سلسلة مركز بحوث الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربيّة السعودية، ١٤١٦/٥/١٩٩٥م، ص٧٣.

(٧٤) ابن بطلان، أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون (ت نحو ٤٥٨/٥/١٠٦٥م): **دعوة الأطبّاء**، تحقيق محمد مهدي أصفهاني، مؤسسة مطالعات تاريخ بزشكي، إيران، ١٣٨٨/٥/١٩٦٨م، ص٧٧-٧٨.

(٧٥) **ابن بطلان**: هو أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان، من نصارى بغداد، تتلمذ على يد أبي الفرج عبد الله بن الطّيب، وأتقن عليه قراءة كثير من الكتب الحكيمة وغيرها، ولازم أيضًا الطّبيب أبا الحسن الحرّاني، واشتغل عليه وانتفع به في صناعة الطّبّ وفي مزاولة أعمالها، وقد وصف أنّه كان كثير الاطّلاع، توفي (٤٥٨/٥/١٠٦٥م)، من كتب ابن بطلان الطّبّيّة: دعوة الأطبّاء، تقويم الصّحّة. (القفطي: **إخبار العلماء**، ص٢٥١؛ ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص٣٢٥-٣٢٨).

(٧٦) **دعوة الأطبّاء**، ص٨٠.

(٧٧) **فردوس الحكمة**، ص٥٢٢.

(٧٨) محمود الحاج قاسم: **السلوك الطبي**، ص١٤٣- ١٤٤.

(٧٩) محمود الحاج قاسم: **السلوك الطبي**، ص١٤٥.

(٨٠) الرّهاوي: **أدب الطَّبيب**، ص٥٦.

(٨١) الرّهاوي: **أدب الطَّبيب**، ص٢٦٥.

(٨٢) **جبرائيل بن بُخْتيشوع**: يُعَدّ من أشهر أطبّاء أسرة بُخْتيشوع الّذين خدموا في البلاط العبّاسيّ، وهو حفيد الطّبيب جورجس (طبيب المنصور)، وابن الطّبيب بُخْتيشوع بن جورجس (طبيب هارون الرّشيد)، لمع نجم جبرائيل بين أطبّاء عصره أيّام الخليفة هارون الرّشيد واتّسعت شهرته، وبات يعرف بطبيب الخلفاء والأمراء والوزراء، وقد وُصف أنّه كان مشهورًا بالفضل، جيّد في المداواة، عالي الهمّة، حظيًّا عند الخلفاء، ومن أشهر مؤلفاته: رسالة إلى المأمون في المطعم والمشرب، كتاب في الباه، توفي (٢١٣/٥/ ٨٢٨م).(ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص١٨٧؛ العمري: **مسالك الأبصار**، ج٩، ص٣٤٢).

(٨٣) العمري: **مسالك الأبصار**، ج٩، ص٣٤٨.

(٨٤) ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ص٣٠٢- ٣٠٤.